أسباب الصلح

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى الإمام الحسن :

[إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين] .

إن الحسن كان رجل صدق ، قد كره الفرقة وآثر اجتماع الكلمة ، وخاض غمرات الفتنة على كره منه ، قاوم الفتنة ما وسعته مقاومتها أيام عثمان فلم يخض فيما خاض الناس فيه من حديثها ، ولم يشارك فى المعارضة حين عظم الشر.

ولو استطاع الحسن لاعتزل الفتنة اعتزالا كما فعلت تلك المعتزلة مع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان من رأى الحسن ألا يرحل الإمام علىّ رضى الله عنه إلى العراق للقاء طلحة والزبير والسيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وكان يكره له أن يذهب إلى دار غربة ويتعرض للموت ولم يوافقه الإمام أبداً حتى بكى الحسن ذات يوم حين رأى ركاب أبيه تؤم العراق فقال له أبوه : « إنك لتحن حنين الجارية » .

هذه مقدمة لا بد منها لأسباب الصلح ترينا طبيعة الإمام الحسن رضى الله عنه ، وبعد ذلك نستطيع أن نجمل الأسباب التى أدت إلى صلح الإمام

مع معاوية فيما يأتى :

أولا : عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال فى الإمام الحسن : « إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين » .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الحسن وهو صبى فأجلسه إلى جانبه على المنبر ، وجعل ينظر إليه مرة ، وينظر إلى الناس مرة أخرى ، يفعل ذلك مراراً ثم قال : « إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين » .

وقد وقع هذا الحديث من نفس الإمام الحسن أى موقع ، وقد ذكره حين ثارت الفتنة ، وقد اجتهد عندما حاول أن يشير على والده أمير المؤمنين فى مواطن وظروف كثيرة أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين فيحقق نبوءة جده صلى الله عليه وسلم .

ومن وراء أفق الإمام الحزين رجع إلى الماضى ليرى صورة ممتعة[١] من طفولته المباركة وصباه الباكر الكريم فتطلع منها إلى أيامه البيض الحافلة بالنور فى المدينة المنورة يوم كان يدرج فيها بموقعه الممتاز ومقامه المدلل المرمرق بين أقرانه وأترابه ، ويوم كان يلعب ويمرح فيها ، ولكن بين سواعد أبويه العظيمين ، وعلى صدر جده الأعظم أو على ظهره المقدس أو على أعواد منبره الشريف ، ويوم كان يتلقف الوحى منذ لحظاته الأولى ، ويتعلم كلمات الله من لسان نبى الله صلى الله عليه وسلم ، ويتخرج بعلمه على مصدر العلم ،

---

(١) صلح الإمام الحسن = الشيخ راضى آل ياسين .

ويضع النقاط على الحروف ليستقبل سيادته على الناس وإمامته المفروضة فى أعناق المسلمين ، وإنه ليستمع إلى جده حين كان يراود الناس فى كل مناسبة على الاعتراف له ، بلسان أشبه بمباهاة ، كلما ذكر ابنه الحسن للسيادة والإمامة ، وطالما ذكره لهما فى حديثه أو ذكرهما له .

كانت عهوداً مفعمة بروح العظمة ، وبعظمة الروح جديرة بأن تهيب بالحسن فيتذكر منها أطيب الذكريات وأحفلها بالغبطة والقوة والمكرمات ، وكانت هذه الذكرى مفتاح ذكريات من حقها أن تؤنسه وأن تنسيه مزعجات لحظته الأخيرة ، ولعل أسطع فترة فى حياة كل إنسان هى فترة طفولته البريئة بما يعمرها من الروابط المقدسة فيتذكر الحسن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وضعه على منكبه الأيمن ، ووضع أخاه الحسين على منكبه الأيسر فاستقبله أبو بكر فقال لهما : « نعم المركب ركبتما يا غلامان » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ونعم الراكبان هما ، إن هذين الغلامين ريحانتاى من الدنيا » .

وذكر يوم جثا جده وأركبه على ظهره وأركب معه أخاه الحسين وقال لهما : نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما ، وذكر مرة أخرى يوم جاء ووجده ساجداً فركب رقبته وهو فى صلاته ، ويوم جاء وجده راكع فأفرج له بين رجليه حتى خرج من الجانب الآخر[١] .

وذكر يوم قيل لجده : « يا رسول الله إنك تصنع بهذا – يعنى الحسن –

(١) الإصابة .

شيئاً لم تصنعه بأحد » فقال : « إن هذا ريحانتي وإن ابني هذا سيد سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين » ، وذكر يوم كان طفلاً بين يدى أمه فاطمة عليهما السلام ودخل عليها أبوها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآه يلعب فقال لها : « إن الله تعالى سيصلح على يدى ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وفى الموقف الرهيب الذى واجهه الإمام تمثل أمامه ذلك الحديث الذى انطبع بلا شك فى أعماق نفسه ، وفى دخائل ذاته منذ نعومة أظفاره وإنه ليطمئن إلى قول جده كما يطمئن إلى محكم التنزيل ، وها هو ذا جده العظيم يقول له ، وكأن صوته الشريف يرن بعذوبته المحببة فى أذنه ويقول لأمه الطاهرة البتول ويقول على منبره ، ويقول بين أصحابه : « إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين » .

ويرجع الحسن إلى نفسه فيقول : ترى هل أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أصالح اليوم أهل الشام ؟ وهل أهل الشام البغاة فئة مسلمة يصح أن يعنيها هذا الحديث ؟ وهل هذه هى الفتنة التى أرادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لإصلاحها ؟ أو قد فقدنا الكفاية لقمعها من طريق القوة ؟ كل ذلك كان يراود الحسن فيثير فى نفسه تفاعلا عنيفاً ينذر بانقلاب تاريخ وكل هذه الأسئلة كانت تنتظر الجواب من الحسن استعداداً للمصير الأخير .

وبعث هذه الذكريات بما فيها التوجيه النبوى الذى استشعر منه الحسن حماية جده له فى أحرج ساعاته فكرة الإنقاذ للموقف فيما لو أتيح لهذه الأسئلة أجوبتها المطابقة لمقتضى الحال .

نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك يقيناً دون شك ، وإن هذه الفتنة هى الفتنة التى عناها فيما لوح إليه فى أحاديثه الشريفة ، ولا فتنة أعظم من فتنة تشق المسلمين انشقاقهم هذا فتلهيهم عما يُراد بهم من أعدائهم الواقفين لهم بالمرصاد ، وعما يراد منهم من إعمار وتنظيم وجهاد ، وأما الحكم على البغاة بحصانة الإسلام ، فهو ما يشير إليه موقف أمير المؤمنين عليه السلام منهم حين منع سبى نسائهم وذراريهم وكفى بسيرة أمير المؤمنين أسوة صالحة وقدوة فى الدين راجحة .

ويرى أستاذنا العميد الدكتور طه حسين أن الحسن كان يميل إلى السلم بتأثير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى ينبئه أن سيصلح بين فئتين كبيرتين من المسلمين وأن هذا الحديث قد وقع فى نفس الصبى أى موقع وأنه قد ذكره حين ثارت الفتنة وكأنه حاول بمشورته على أبيه فى مواطنه تلك أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين فيحقق نبوءة جده ، ويؤيد هذا الرأى الفريق الأكبر من المسلمين فيقول ابن تيمية : « دل الواقع على أن رأى ولده حسن من ترك القتال كان أجدى وأنفع للأمة ويستند إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن ابنى هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين كبيرتين من المسلمين) .

ثانياً : إنه فى الوقت الذى ظل فيه جيش معاوية محتفظاً بالولاء لحكومته ولم يصب بالرجّات التى أصيب بها جيش الإمام ، فقد مُنى جيش الإمام بالانحلال والتفكك والتمرد فقد تضاربت الحزبية فيه كما أن الجنود قد

سئموا من الحروب ، ولا شك أنه مما زاد فى ضعف جيش الإمام حرب الصفين والنهروان فقد طحنت الحرب فيها جمعاً غفيراً منهم حتى أصبحوا يكرهون الحرب ويؤثرون السلم ويحبون العافية ، وكذلك فإن الجيش العراق لم يربح فى حرب الجمل وصفين والنهروان شيئاً من العتاد والأموال ، ومن الأسباب التى أدت إلى تفلل الجيش العراق فقده للقوى الواعية من أعلام الإسلام الذين آمنوا بحق أهل البيت وعرفوا فضلهم وتضارب الحزبية فيه .

ثالثاً : والعامل الثالث الذى دعا الإمام إلى المصالحة والمسالمة هو ما يتمتع به خصمه من القوى العسكرية وغيرها التى لا طاقة للإمام على مناجزتها .

رابعاً : ومن العوامل التى دعت الإمام إلى الصلح ما روع به من اغتيال أبيه ، فقد ترك ذلك حزناً مقيماً وأسى شديداً فى نفسه لأنه قد قتل على غير مال احتجبه ولا سنة فى الإسلام غيرها ولاحق اختص به دونهم ، وكان يحيا بينهم حياة الفقراء والضعفاء ويتطلب لهم حياة حافلة بالنعم والخيرات ويسعى جاداً فى إقامة العدل ، فعمدوا إلى اغتياله وتركوه صريعاً فى محرابه لم يحفظوا حرمته ولا حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وقد رأى الإمام الحسن عليه السلام بعد ارتكابهم لهذه الجريمة النكراء أنه لا يمكن إصلاحهم وإرجاعهم إلى طريق الحق والصواب فزهد فى ولايتهم وقد قال : « وقد زهدنى فيكم اغتيالكم أبى » .

خامساً : ومن دواعى الصلح رغبة الإمام الملحة فى حقن دماء المسلمين وعدم إراقتها ولو فتح باب الحرب مع معاوية لضحى بشيعته وأهل بيته ويجتث

بذلك الإسلام من أصله ، وقد صرح عليه السلام بذلك فى جوابه عن دوافع صلحه فقال : « إنى خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض ، فأردت أن يكون للدين ناعى » ، فقد شهد الحسن مع أبيه مشاهد فى البصرة وصفين والنهروان ، ويقول أستاذنا العميد الدكتور طه حسين إنه يعتقد أن الإمام الحسن وأخاه أبا الشهداء قد شهدا هذه الحروب دون أن يشاركا فيها ، بل إن أباهما كان يضن بهما على الخطر مخافة أن يصيبهما شر فتنقطع ذرية النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يقيهما بنفسه وبأخيهما محمد بن الحنفية ، وكان يشتد على محمد هذا ويعنف به إن رأى منه فى الحرب أناة أو تقصيراً حتى كلمه فى ذلك بعض أصحابه . فقد كان الإمام علىٌّ إذاً أشد الناس إيثاراً للحسن والحسين لمكانهما من النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان أصحابه يصنعون صنيعه فى ذلك فيؤثرونهما بالخير والبر ، ويروى أن رجلا أهدى إلى الحسن والحسين وترك محمداً فلم يُهد إليه شيئاً فلما رأى علىٌّ ذلك من الرجل وضع يده على كتف الرجل وتمثل :

وما شر الثـــلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا

فذهب الرجل فأهدى إلى محمد كما أهدى إلى أخويه .

ومن هذا نرى أن الحسن كان كارهاً للفتنة منذ ثارت .

وأجاب عليه السلام بعض الناقمين عليه من شيعته فى الصلح فقال : « ما أردت بمصالحتى معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل » ، وأعرب فى خطابه الذى ألقاه فى المدائن عن مدى اهتمامه بدماء المسلمين فقد جاء فيه :

« أيها الناس إن الأمر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق أتركه لإصلاح أمر الأمة وحقن دمائها » .

ومن حيطته ورعايته لذلك أنه أوصى أخاه الحسين حينما وافاه الأجل المحتوم أن لا يهرق فى أمره ملء محجمة دماً ، إن أحب شيء للإمام عليه السلام الحفاظ على دماء المسلمين ونشر الأمن والوئام فيما بينهم ، وقد بذل فى سبيل ذلك جميع جهوده ومساعيه .

سادساً : لقد علم الإمام الحسن أنه إن حارب معاوية فإن العراقيين قد يسلمونه أسيراً إلى معاوية ، وأغلب الظن أنه لا يقتله بل يخلى عنه ويسجل له بذلك مكرمة وفضيلة ، ويسدى يداً بيضاء على عموم الهاشميين ويغسل عنه العار الذى لحقه من أنه طليق وابن طليق ، وقد صرح الإمام الحسن بهذه الخاطرة فقال : « والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقى حتى يدفعونى إليه سلماً . والله لئن أسالمه وأنا عزيز أحب إلى من أن يقتلنى وأنا أسير أو يمنّ علىّ فتكون سبة على بنى هاشم إلى آخر الدهر ولمعاوية لا يزال يمن بها هو وعقبه على الحى منا والميت » .

سابعاً : انضمام المحنكين والسياسيين إلى معاوية طمعاً فى ماله ودنياه وهم كالمغيرة بن شعبة الذى قيل فى حيلته ودهائه : « لو كان المغيرة فى مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج منها إلا بالمكر والخداع لخرج المغيرة من أبوابها كلها » . وكان من حاشيته عمرو بن العاص وكان فى طليعة من رفع علم الثورة على عثمان لأنه عزله من منصبه ، وهو الذى خدع الجيش العراقى

برفع المصاحف فتركه ممزق الأوصال ، لقد جذب معاوية هؤلاء الدهاة ، ووقف الإمام الحسن معهم فى صلحه أحزم موقف يتخذه المفكرون فقد حفظ ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقن دماء المؤمنين .

ثامناً : ومن جملة الأسباب التى دعت الإمام إلى الصلح الحوادث التى لاقاها فى المدائن وهى :

(ا) خيانة الزعماء والوجوه واتصالهم بمعاوية .

(ب) الحكم عليه بالتكفير من قبل الخوارج .

(ج) اغتياله – نهب أمتعته .

تاسعاً : قد يكون من المفيد أن أسجل ما لاقاه أنصار الإمام الحسن وأن أعرض نماذج من الذين أوذوا بسبب موقفهم من الإمام :

١ – محمد بن أبى حذيفة :

يعد فى طليعة رجال الإسلام الساهرين على مصلحته والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وقد قال أمير المؤمنين (ع) فى حقه : « إن المحامدة تأبى أن يعصى الله » ثم عده منهم ، وكان ملازماً لأمير المؤمنين وفى خدمته ، ولما قتل (ع) وانتهى الأمر إلى معاوية أراد قتله ثم بدا له أن يتسجنه فسجنه أمداً غير قصير . والتفت يوماً إلى أصحابه فقال لهم : « ألا نرسل إلى هذا السفيه محمد بن أبى حذيفة فنبكته ونخبره بضلاله ، ونأمره أن يقوم فيسب علياً » فقالوا ! نعم ، ثم أمر بإحضاره فلما مثل عنده التفت إليه :

« يا محمد ألم يأن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك على ابن أبى طالب (ع) ؟ ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوماً وأن عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه وأن علياً هو الذى رس الناس فى قتله ونحن اليوم نطلب بدمه ؟ » .

فأجابه محمد : « إنك تعلم أنى أمس القوم بك رحماً وأعرفهم بك » .

– أجل .

« فو الله الذى لا إله غيره ما أعلم أحداً شرك فى دم عثمان وألب الناس عليه غيرك لما استعملك ، ومن كان مثلك فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبى ففعلوا به ما بلغك ، ووالله ما أحد شرك فى قتله بدءاً وأخيراً إلا طلحة والزبير وعائشة ، فهم الذين شهدوا عليه بالعظمة وألبوا عليه الناس ، وشركهم فى ذلك عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وعمار والأنصار جميعاً » .

فارتاع معاوية وقال منكراً عليه :

« قد كان ذلك ؟ ! ! »

– أى والله ، وإنى لأشهد أنك منذ عرفتك فى الجاهلية والإسلام لعلى خلق واحد ، ما زاد الإسلام فيك لا قليلا ولا كثيراً وإن علامة ذلك فيك لبقية تلومنى على حبى علياً ، خرج مع على كل صوام قوام مهاجرى وأنصارى ، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دنياك . والله يا معاوية ما خفى عليك ما صنعت وما خفى عليهم ما صنعوا

إذا أحلوا أنفسهم بسخط الله فى طاعتك ، والله لا أزال أحب عليًّا لله ولرسوله وأبغضك فى الله ورسوله أبداً ما بقيت ! ! » .

– « وإنى أراك على ضلالك بعد ردوه إلى السجن » .

فردوه له فمكث مدة من الزمن حتى مات فيه.

لقد لاقى محمد حتفه وهو مروع فى ظلمات السجون لأنه لم يرتض أعمال معاوية ولم يقره على منكراته وأباطيله ، وهكذا كان مصير الأحرار والنبلاء المعارضين لحكومة معاوية يلاقون التعذيب والتنكيل والتخليد فى السجون .

٢ – عبد الله بن هاشم المرقال :

ومن الذين أراعهم معاوية وأدخل الفزع فى نفوسهم الزعيم المثالى عبد الله ابن هاشم المرقال فقد كان معاوية يحمل فى نفسه كمداً وحقداً عليه ، وذلك لولائه وإخلاصه لأمير المؤمنين (ع) ولموقف أبيه هاشم فى يوم صفين ، ذلك الموقف الخالد الذى أخافه وأزعجه حتى صمم على الهزيمة والفرار وللتشفى والانتقام منه ، فقد كتب إلى عامله زياد رسالة يطلب فيها القبض على نجل هاشم عبد الله كى ينكل به وهذا نص ما كتبه :

« أما بعد فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده إلى عنقه ثم ابعث به إلىّ » .

ولما وصلت رسالة معاوية إلى زياد قام فى طلبه ولما علم بذلك عبد الله هرب

منه واختفى ، وعلم به بعض الأوغاد فجاء إلى معاوية ليتقرب إليه فأخبره أنه قد اختفى عند امرأة مخزومية فى الوقت دعا معاوية كاتبه فكتب إلى زياد رسالة وها هى ذى :

« أما بعد فإذا أتاك كتابى هذا فاعمد إلى حى بنى مخزوم ففتشه داراً داراً حتى تأتى إلى دار فلانة المخزومية فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها ، فاحلق رأسه وألبسه جبة شعر وقيده وغل يده إلى عنقه واحمله على قتب بغير وطاء ولا غطاء وأقدمه إلى » .

فامتثل زياد أمر معاوية ففتش حى بنى مخزوم حتى ظفر بعبد الله فحمله إليه بالكيفية التى أرادها وهو مهان الجانب محطم الكيان ، فوصل إلى دمشق يوم الجمعة وهو يوم القبول الذى أعده معاوية لمقابلة أشراف قريش ووجوه العراقيين فلم يشعر معاوية إلا وابن هاشم قد أدخل عليه ، فصرفه ولم يعرفه مستشاره ابن العاص فالتفت معاوية إليه قائلا :

« يا أبا عبد الله ، هل تعرف هذا الفتى ؟ » قال لا .

هذا الذى يقول أبوه يوم صفين :

إنى شربت النفس لما اعتلا ... وأكثر اللوم وما أقلا

أعدد يبغى أهله محلا ... قد عالج الحياة حتى ملا

لا بد أن يفل أو يفلا ... أسلهم بذى الكعوب سلا

لا خير عندى فى كريم ولى

وظهرت الدهشة على ابن العاص والتفت إلى معاوية وقال :

obeikandl.com

« دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب فاشخب أوداجه على أثباجه ولا ترده إلى أهل العراق ، فإنه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وحزب إبليس ليوم هيجانه وإن له هوى سيوديه ورأياً سيطفيه ، وبطانة ستقويه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

فانبرى إليه عبد الله كالأسد الغضبان مسدداً إليه سهاماً من القول غير هياب له قائلا :

« يا عمرو ، إن أقتل فرجل أسلمه قومه ، وأدركه يومه ، أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك إلى النزال ، وأنت تلوذ بشمال النطاف[١] وعقائق الرصاف[٢] كالأمة السوداء ، والنعجة القوداء لا تدفع يد لامس ؟ »

فاغتاظ ابن العاص ولم يستطع أن يقول شيئاً سوى التهديد والتوعيد وإعلان الظفر والغلبة عليه قائلا : « أما والله لقد وقعت فى لهازم[٣] شدقم للأقران ذى لبد ولا أحسبك منفلتاً من مخالب أمير المؤمنين » .

فأجابه ابن هاشم غير معتن بتهديده وتوعيده :

« أما والله يابن العاص إنك لبطر فى الرفاء جبان عند اللقاء غشوم إذا وليت هياب إذا لقيت تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشوك لا يستعمل فى المدة ولا يرتجى فى الشدة ، أفلا كان هذا منك إذ غمرك أقوام

---

(١) النطاف : الماء القليل .

(٢) العقائق : سهام الاعتذار ، والرصاف : الحجارة التى توضع عند مسيل الماء .

(٣) اللهازم = جمع مفرده لهزم وهى الأنياب – والشدقم الأسد .

لم يعنفوا صغاراً ، ولم يمزقوا كباراً لهم أيد شداد ، وألسنة حداد يدعمون العوج ، ويذهبون الحرج ، يكثرون القليل ، ويشفون الفليل ، ويعزون الذليل ؟ »

فلم يطق ابن العاص جواباً وبقى يفتش فى حقيبة مكره عيباً أو سوءاً يوصم به عبد الله فلم يجد شيئاً سوى افتعال الكذب فقال :

« أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أصلاؤه[١] كأنما انطبق عليه ضمد » .

فانبرى إليه عبد الله مجيباً عن بهتانه وكذبه قائلا له :

« يا عمرو إنا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوباً غادراً ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ،وجندلا يساومونك ، ولو رمت المنطق فى غير أهل الشام لحظ عليك عقلك[٢]. ولتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذى أثقله حمله » .

والتفت إليهما معاوية قاطعاً حديثهما قائلا : « أيها عنكما » ثم أمر بإطلاق سراح عبد الله ، فاستاء ابن العاص لهذا العفو ، وانبرى إلى معاوية محرضاً له على الفتك والبطش به ومذكراً له موقف أبيه هاشم فى صفين .

---

(١) الأصلاء : أواسط الظهر .

(٢) جحظ عقله : أى نظر إلى رأيه فرأى سوء ما ارتأى .

٣ – عبد الله بن خليفة الطائى :

وعبد الله بن خليفة الطائى ممن عرف بالولاء والإخلاص لأهل البيت وللإمام على فقد جاء إليه حينما توجه (ع) إلى البصرة فقال له :

« الحمد لله الذى رد الحق إلى أهله ، ووضعه فى موضعه ، فإن كره ذلك قوم فقد والله كرهوا محمداً صلى الله عليه وسلم ونابذوه وقاتلوه ، فرد الله كيدهم فى نحورهم وجعل دائرة السوء عليهم ، والله لأجاهدن معك فى كل موطنٍ تحفظاً لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد دل حديثه على إيمانه وعقيدته وطيب عنصره وحسن رأيه ، وكان من المقربين عند الإمام ومن الذين يستشيرهم فى مهام أموره .

وكان عبد الله فى طليعة أصحاب حجر ومن المعارضين للسياسة الأموية ومن المشتركين معه فى ثورته ، ولما قبض زياد على حجر وأصحابه أمر شرطته (وهم أهل الحمراء) أن يأتوه بعبد الله ففتشوا عنه فوجدوه فناجزهم عبد الله وأخيراً استولوا عليه فنادت أخته النوار بقومها وأسرتها محرضة لهم على نجدة أخيها ونصرته قائلة :

« يا معشر طيئ أتسلمون سنانكم ولسانكم عبد الله بن خليفة ؟ »

فثار الطائيون على الشرطة فضربوهم وناجزوهم حتى انتزعوا منهم عبد الله فرجعت الشرطة إلى زياد وأخبرته بالأمر فاستدعى زعيم طيئ وعميدهم عدى بن حاتم فقال له :

« إئتين بعبد الله بن خليفة ؟ »

وبعد حديث جرى بينهما قال ابن حاتم له مقالا يلمس فيه شَرفه ونبله وسمو نفسه :

« لا والله لا آتيك به أبداً ، أجيئك بابن عمى تقتله ؟ والله لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه » .

فالتاع زياد وأمر به إلى السجن ، ولم يبق بالكوفة يمانى ولا ربعى إلا أتوا زياداً فكلموه فى شأن عدى وأخبروه بعظم شأنه وشرفه فاضطر زياد إلى إطلاق سراحه بشرط أن يغيب ابن عمه عن الكوفة فوافق عدى على ذلك وأمر عبد الله أن يغادر الكوفة ويلحق با (لجبلين) فغادر عبد الله الكوفة وقد سرى الألم العاصف فى محياه على بعده عن وطنه وعلى فراقه لأصحابه وأهله وقد أرسل إلى عدى بعد نفيه قصيدة عصماء يرثى بها حجراً وأصحابه ويذكر فيها ما يعانيه من الألم والحزن على بعده عن وطنه فيقول فى رثاء حجر :

ولاقى بها[1] حجر من الله رحمة ... فقد كان أرض الله حجر وأعذرا

ولا زال تهطال ملث وديمـــــة ... على قبر حجر أو ينادى فيحشرا

فيا حجر من للخيل تدمى نحورها ... وللملك المقرى إذا ما تغشمرا[2]

ومن صادع بالحق بعدك ناطـق ... بتقوى ومن إن قيل بالجور غيرا

فنعم أخو الإسلام كنت وإننى ... لأطمع أن تؤتى الخلود وتحبرا

---

(١) الضمير يرجع إلى مرج عذراء .

(٢) تغشمرا : أى أخذ قهراً وظلماً .

وقد كنت تعطى السيف فى الحرب حقه وتعرف معروفاً وتنكر منكرا

ثم يسترسل فى رثاء حجر فيذكر صفاته الرفيعة ومواهبه وملكاته ويبكيه أمر البكاء وينتهى فى قصيدته إلى وصف محنته وإلى ما يلاقيه من الألم والأسى فى غربته فيقول :

فها أنا ذا آوى بأجبال طيئ طريداً فلو شاء الإله لغيرا
تعاف عدوى ظالماً عن مهاجرى رضيت بما شاء الإله وقدرا
وأسلمنى قومى بغير جنـــاية كأن لم يكونوا لى قبيلا ومعشرا

وذكر الطبرى وابن الأثير بقية القصيدة وقد أعرب فيها عن لوعته وحزنه على فراقه لأهله ووطنه ، وقد ظل منفيًّا حتى مات بالجبلين قبل موت زياد[١] .

٤ - صعصعة بن صوحان :

وصعصعة بن صوحان من سادات العرب وفصحائهم النابهين وخطبائهم المفوهين كان من ذوى الفضيلة والدين وقد أسلم على عهد رسول الله (ص) وهو صغير ولم يجتمع به لصغر سنه ووفد على الخليفة الثانى وكان يقسم أموال الغنائم وكان مقدارها ألف ألف درهم نفضها على المسلمين وبقيت منها فضلة فاختلفت الصحابة فى تلك الفضلة أين يضعونها فقام فيهم عمر خطيباً فقال فى خطابه :

« أيها الناس ، قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس ، فماتقولون فيها » .

---

(١) الطبرى (ج ٦ ص ١٥٧) الكامل (ج ٣ ص ٢٤١) .

فانبرى إليه صعصعة منكراً عليه تحيره فى هذه المسألة البسيطة قائلا : « يا أمير المؤمنين ، إنما تشاور الناس فيما لم ينزل الله فيه قرآناً ، وأما ما أنزل الله به القرآن ووضعه مواضعه فضعه فى مواضعه التى وضعه الله تعالى » .

فاستحسن عمر رأيه وقال له : « صدقت أنت منى وأنا منك » ثم قسم المال بين المسلمين »[١].

وكان صعصعة فى طليعة أصحاب أمير المؤمنين (ع) ومن الملازمين له وقال الإمام الصادق عليه السلام فى حقه : « ما كان مع أمير المؤمنين من يعرف حقه إلا صعصعة وأصحابه »[٢] ومرض صعصعة فعاده (ع) فقال له : « يا صعصعة ، لا تتخذ عيادتى لك أبهة على قومك ! ! » .

– بلى والله أعدها منة من الله وفضلا على .

– إنك إن كنت على ما علمتك فأنت خفيف المؤنة حسن المعونة .

– وأنت والله يا أمير المؤمنين بالله علياً وبالمؤمنين رءوفاً رحيماً[٣] .

ولحصافة رأيه وسداد منطقه كان الإمام (ع) يرسله فى مهامه فقد أرسله مرة إلى معاوية ومعه كتاب منه فلما انتهى إليه قال معاوية مشيداً بنفسه ومبرراً لأعماله :

« الأرض لله وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لى وما تركت منه كان جائزاً لى » .

---

(١) الاستيعاب (ج ٢ ص ١٨٩) .

(٢) التعليقات ص ١٨٣

(٣) نفس المصدر .

وثقل على صعصعة هذا الكلام الملتوى الفارغ من الحق فانبرى إليه مجيبا :

تمنيك نفسك مالا يكون   جهلا معاوى لا تأثم

فتألم معاوية وقال منددا به :

« تعلمت الكلام ؟ »

– العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل .

– ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرك .

– ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذى لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها .

– من يحول بينى وبينك ؟

– الذى يحول بين المرء وقلبه .

– اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير .

– اتسع بطن من لا يشبع ، ودعا عليه من لا يجمع [١] .

ودل هذا الحديث على قوة جنان صعصعة وأنه ليس بالرعديد الهياب فلقد رد على معاوية مقالته بالمثل وقابله بالاستخفاف والاستهانة وهو غير هياب له ولا خائف من سلطته وسلطانه .

ولما انتقل الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى حظيرة القدس وانحسم ظهر الإسلام باستيلاء ابن هند على زمام الحكم لاقى صعصعة من العناء أشده ومن الألم أمره ، فقد أودعه معاوية مع جماعة من أصحابه فى ظلمات

---

(١) مروج الذهب (ج ٢ ص ٣٤٢)

السجون ، ودخل عليهم وهم فى سجنه فقال لهم :

« نشدتكم بالله إلا ما قلتم حقًّا وصدقاً ، أى الخلفاء رأيتمونى ؟ »

فانبرى إليه عبد الله بن الكواء قائلا :

« لولا أنك عزمت علينا ما قلنا ، لأنك جبار عنيد ، لا تراقب الله فى قتل الأخيار ولكنا نقول : قد علمنا أنك واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب الثرى ، بعيد المرعى ، تجعل الظلمات نوراً والنور ظلمات ! ! » .

فقال معاوية له : « إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابين عن بيضته ، التاركين لمحارمه ، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله ، والمحلين ما حرم الله ، والمحرمين ما أحل الله » .

فأجابه ابن الكواء : « يا ابن أبى سفيان ، إن لكل كلام جواباً ونحن نخاف جبروتك ، فإن كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها فى الله لومة لائم ، وإلا فإنا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه » .

فقال له معاوية : « لا والله لا يطلق لك لسان » .

وكان صعصعة من جملة الأشخاص الذين طلب لهم الإمام الحسن (ع) من معاوية الأمن وعدم التعرض لهم بسوء ومكروه ولكن معاوية لم يف بذلك فقد أراعه وأخافه وأودعه فى سجنه كما أراع غيره من الموالين لأهل البيت ، وصرحت بعض المصادر أن المغيرة نفى صعصعة بأمر معاوية من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين أو إلى جزيرة ابن كافان فمات بها معتقلا منفيًّا عن

وطنه وبلاده وفى رثائه يقول المرزبانى[١] :

هلا سألت بنى الجارود أى فتى ... عند الشفاعة والبان ابن صوحانا
كنا وكانوا كأم أرضعت ولـداً ... عقًّا ولم نجز بالإحسان إحسانا[٢]

٥ – عدى بن حاتم :

من أهم الشخصيات الرفيعة الفذة فى العراق فقد كان يتمتع بمجد وشرف ونبل فهو ابن حاتم مضرب المثل فى جوده وسخائه ، وبالإضافة إلى مجده الموروث فقد كان من أبطال العقيدة ومن عيون المؤمنين ومن رجال الإسلام البارزين ، وقد تعرض لكثير من الهوان والعسف من أجل ولائه وإخلاصه لأمير المؤمنين (ع) فقد دخل يوماً على معاوية فقال له متشمتاً به :

« ما فعلت الطرفات ؟ »[٣] .

– قتلوا مع على .

– ما أنصفك على قتل أولادك وأبقى أولاده ! ! .

– ما أنصفك على إذ قتل وبقيت بعده .

---

(١) المرزبانى : بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاى وفتح الباء الموحدة وهو جد من انتسب إليه من الأعيان جاء ذلك فى اللباب (ج ٣ ص ١٢٤) وجاء فى وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٤٣) أن لفظ المرزبان لفظ فارسى معناه صاحب الحمد ، فإن مرز معناه الحمد وبان معناه صاحب ، وهو فى الأصل عندهم اسم لمن كان دون الملك .

(٢) الإصابة (ج ٢ ص ١٩٢) .

(٣) الطرفات : هم أولاد عدى وهم طريف وطارف وطرفة .

فتألم معاوية من مقال عدى وقال مهدداً له :

« أما إنه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلا دم شريف من أشراف اليمن – يعنى به عدياً » .

فانبرى إليه عدى وهو غير مكترث بتهديده وتوعيده قائلا له :

« والله إن قلوبنا التى أبغضناك بها لفى صدورنا ، وإن أسيافنا التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا ، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فتراً لندنين إليك من الشر شبراً ، وإن حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم[١] لأهون علينا من أن نسمع المساءة فى على ، فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف » .

فراوغ معاوية على عادته وقال :

« هذه كلمات حكم فاكتبوها » .

ثم أقبل عليه يحدثه كأنه لم يخاطبه بشيء[٢] ثم قال له :

« صف لى علياً » .

– إن رأيت أن تعفينى .

– لا أعفيك .

فأخذ عدى فى وصف أمير المؤمنين فقال :

« كان والله بعيد المدى ، شديد القوى يقول عدلا ، ويحكم فصلا ، تتفجر الحكمة من جوانبه ، والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ،

---

(١) الحيزوم : وسط الظهر .

(٢) مروج الذهب (ج ٢ ص ٣٠٩) .

ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله عزيز الدمعة ، طويل الفكرة ، يحاسب نفسه إذا خلا ، ويقلب كفيه على ما مضى يعجبه من اللباس القصير ، ومن المعاش الخشن . وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، ويدنينا إذا أتيناه . ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته . فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويتحبب إلى المساكين لا يخاف القوى ظلمه ، ولا ييأس الضعيف من عدله فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل فى محرابه وأرخى الليل سربال ، وغارت نجومه ، ودموعه تتحادر على لحيته ، وهو يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، فكأنى الآن أسمعه وهو يقول :

« يا دنيا ألى تعرضت أم إلى أقبلت ؟ غرّى غيرى لاحان حينك ، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لى فيك ، فعيشك حقير ، وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر وقلة الأنيس » .

فوكفت عينا معاوية ، وجعل ينشفهما بكمه ثم قال :

« يرحم الله أبا الحسن كان كذلك . فكيف صبرك عنه ؟ »

— كصبر من ذبح ولدها فى حجرها فهى لا ترقأ دمعتها ، ولا تسكن عبرتها .

— فكيف ذكرك له ؟

— وهل يتركن الدهر أن أنساه ؟ .

وقد دل هذا الحديث على ولاء عدى لأمير المؤمنين ومن أجل ولائه وإخلاصه فقد روع وأفزع وقد تقدم أن زياداً أودعه فى السجن حقبة من

الأيام من أجل عبد الله بن خليفة الطائى ولم يراع شخصيته الكريمة ومكانته الاجتماعية وعظم منزلته وإنما فعل ذلك به ليقضى على أنصار أمير المؤمنين عليه السلام .

سياسة أهل البيت :

لكى يكون لدينا إيضاح كاف عن صلح الإمام الحسن رضى الله عنه فلا بد أن نعرض بعض الجوانب من سياسة أهل البيت لنبين مدى أصالة سياستهم البناءة ، ثم نقف على الأهداف الرفيعة التى ينشدون تحقيقها فى ظلال الحكم .

إن السياسة التى يجب أن تسود البلاد عند أهل البيت هى السياسة البناءة التى تضمن مصالح المجتمع وتحقيق المساواة والعدالة والفرص المتكافئة بين أبنائه .

إن سياسة أهل البيت قد تبنت العدل الخالص وهى سياسة لا تعتمد على المكر والمواربة .

أما الأهداف السليمة والمثل العليا التى رفع شعارها أهل البيت وتبنوها فهى :

أولا : العدل والمساواة لأن الإسلام أسبغ نعمة المساواة على الإنسانية بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ المجتمع العالمى ، فقد أعلن المساواة العادلة ما بين الأفراد والجماعات وما بين الأجناس فلا فضل لأبيض على أسود

ولا لعربي على أعجمي ، فالناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لبعضهم على بعض إلا بالتقوى والعمل الصالح .

وقد قيل إن من أهم الأسباب فى تخاذل العرب عن على بن أبي طالب كان اتباعه لمبدأ المساواة بين الناس حيث كان لا يفضل شريفاً على مشروف ولا عربيًّا على عجمى ولا يصانع الرؤساء والقبائل .

ثانياً : الحرية والصراحة والصدق ، وهم يتمثلون بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق – فإن الصدق يهدى إلى البر – وإن البر يهدى إلى الجنة – وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (١)

إن أهل البيت قد ركزوا سياستهم على الصدق والصراحة وجنبوها المكر والخداع .

يقول الإمام على : « لولا أن المكر والخداع فى النار لكنت أمكر الناس ».

ويقول فى الغدر : « لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة » .

إن سياسة أئمة أهل البيت فى جميع الشئون قد عبرت عن جميع القيم الإنسانية الخيرة التى أعلنها الإسلام ، فهى لا تقر الغدر ولا المكر ولا الخداع

---

(١) رواه مسلم .

ولا تؤمن بأى وسيلة من وسائل النفاق الاجتماعى وإن توقف عليها النجاح السياسى المؤقت .

وسار الإمام الحسن على مخططات أبيه ومقرراته فى عالم السياسة والحكم فلم يعتمد على أى وسيلة لا يقرها الدين .

وكذلك يرى أهل البيت أن الموظفين فى جهاز الحكم لا بد أن يكونوا من خيرة الرجال فى الجدارة والنزاهة والكفاءة والقدرة على إدارة شئون البلاد ، ليضعوا المصلحة العامة نصب أعينهم ويسيروا بين الناس سيرة قوامها العدل الخالص والحق المحض ، ويكونوا أمناء فيما يجبونه من الناس وما ينفقونه على المرافق العامة وقد نظر أهل البيت إلى ما هو أبعد من ذلك وأعمق بكثير فقد فرضوا على ولاتهم أن يبتعدوا عن الناس بكل نحو من أنحاء الصلة لما عسى أن يكون لذلك من أثر على مجرى العدل ، ولذلك فإن أمير المؤمنين رضى الله عنه لما بلغه أن عامله بالبصرة سهل بن حنيف قد دُعى إلى مأدبة فأجاب إليها فكتب إليه يستنكر منه ذلك وقال : « أما بعد : يابن حنيف فقد بلغنى أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها ، تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو[١] وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم[٢] فما اشتبه

(١) مجفو : أى مطرود من البؤس والجفاء .

(٢) المقضم : المأكل .

عليك علمه فألقه وما أيقنت بطيب وجوهه[١] فنل منه » .

وأراد الأشعث بن قيس أن يتقرب إلى أمير المؤمنين ويتصل به فصنع له حلوى جيدة فقدمها إليه وقد وصف عليه السلام موقفه تجاه هذا الأمر فقال :

« وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة فى وعائها ومعجونة . . . .

فقلت : أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت .

فقال : لاذا ولا ذاك ولكنها هدية .

فقلت : هبلتك[٢] الهبول ، أعن دين الله أتيتنى لتخدعنى ؟

أمختبط أم ذو جنة أم تهجر[٣].

والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت ، وإن دنياكم عندى لأهون من ورقة فى فم جرادة تقتضمها ، ما لعلى ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى ، نعوذ بالله من سبات العقل[٤] وقبح الزلل وبه نستعين » .

هذه بعض المثل العليا التى ينشدها أهل البيت فى ظلال الحكم ولو أن الإمام الحسن انحرف عنها ونهج فى سياسته منهج من يعمل للدنيا وسلك مسلك من يبغى الملك والسلطان فراوغ وداهن وأنفق المال فى غير محله لما آل الأمر لمعاوية .

---

(١) بطيب وجوهه : أى بالحل فى طرق كسبه .

(٢) هبلتك بكسر الباء : ثكلتك — الهبول : المرأة التى لا يعيش لها ولد .

(٣) تهجر : تهذى بما لا معنى له .

(٤) نومه .

كيف تم الصلح :

يرى فريق من المؤرخين ومنهم الطبرى وابن الأثير أن معاوية أرسل إلى الحسن صحيفة بيضاء مختوماً على أسفلها بختمه وكتب إليه « أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت أسفلها ما شئت فهو لك » ، واختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً فيمن بادر لطلب الصلح وسنوفى هذه النقطة حقها بعد قليل .

وروى ابن عبد البر : « أن الإمام كتب إلى معاوية يخبره أنه يصير الأمر إليه على أن يشترط عليه ألا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشىء كان فى أيام أبيه ، فأجابه معاوية وكاد يطير فرحاً إلا أنه قال : أما عشرة أنفس فلا أؤمنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه يقول : إنى قد آليت متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده ، فراجعه الحسن إنى لا أبايعك أبداً وأنت تطلب قيساً أو غيره بتبعة ، قلّت أو كثرت . فبعث إليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال : اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر بعده فالتزم ذلك كله معاوية » .

والبعض يذكر أن الإمام أرسل سفيرين إلى معاوية هما عمرو بن سلمة الهمدانى ومحمد بن الأشعث الكندى ليستوثقا من معاوية ويعلما ما عنده .

وذكر جماعة من المؤرخين أن الإمام ومعاوية اصطلحا وارتضيا بما احتوته الوثيقة الآتية وهى « هذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى طالب

ومعاوية بن أبى سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين ، وليس لمعاوية ابن أبى سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله فى شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وعلى أن أصحاب علىٍ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبى سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء وبما أعطى الله على نفسه ، وعلى ألا يبغى للحسن بن على ، ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سرًّا ولا جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم فى أفق من الآفاق شهد عليه فلان ابن فلان بذلك ، وكفى بالله شهيدا »[١] .

ويشك كثير من المؤرخين فى أن ما احتوت عليه هذه الوثيقة هو مجموع ما طلبه الإمام وإنما هى جزء من كل .

وأهم شروط الصلح التى ذكرتها بعض المصادر :

١ – تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الصالحين[٢].

٢ – ليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده والأمر بعده للحسن فإن حدث به حدث فالأمر للحسين[٣].

---

(١) كشف الغمة : الصواعق .
(٢) ابن أبى الحديد .
(٣) الإصابة : الإمامة والسياسة ، ينابيع المودة .

٣ – الأمن العام لعموم الناس الأسود والأحمر منهم سواء فيه وأن يحتمل عنهم معاوية ما يكون من هفواتهم ، وألا يتبع أحداً بما مضى وألا يأخذ أهل العراق بإحنة .

٤ – ألا يسميه أمير المؤمنين .

٥ – أن يترك سب أمير المؤمنين علىّ وألا يذكره إلا بخير .

٦ – ألا يقيم عنده الشهادة .

٧ – أن يوصل إلى كل ذى حق حقه .

٨ – الأمن لشيعة أمير المؤمنين وعدم التعرض لهم بمكروه .

٩ – يفرق فى أولاد من قتل مع أبيه فى يوم الجمل وصفين ألف ألف درهم ويجعل ذلك من خراج دار يجرد .

١٠ – أن يعطيه ما فى بيت مال الكوفة ويقضى عنه ديونه ويدفع إليه فى كل عام مائة ألف .

١١ – ألا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأهل البيت غائلة سرًّا ولا جهراً ولا يخيف أحداً منهم فى أفق من الآفاق .

مكان الصلح وزمانه :

تم الصلح فى « مسكن » حسب ما ذكرته أوثق المصادر ، ويذهب بعض رجال التاريخ إلى أن الصلح وقع فى بيت المقدس ، وذهب البعض الآخر إلى أنه وقع بأذرح من أرض الشام .

وكما اختلف المؤرخون فى المكان الذى وقع فيه الصلح فقد اختلفوا فى الزمان أيضاً فقد قيل إنه كان سنة ٤١ هجرية فى ربيع الأول وقيل فى ربيع الآخر ، واصطلح بعض المؤرخين على تسمية عام الصلح بعام الجماعة ولكن الجاحظ يقول : « فعندها استوى معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين فى العام الذى سموه (عام الجماعة) ، وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة ، والعام الذى تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة منصباً قيصرياً » .

على أنه كان من الطبيعى أن يتفق الفريقان بعد توقيعهما الصلح على مكان يلتقيان فيه فاختارا الكوفة ، ونودى فى الناس إلى المسجد الجامع ليستمعوا هناك إلى الخطيبين الموقعين على معاهدة الصلح ، وكان لا بد لمعاوية أن يستبق إلى المنبر فسبق إليه وجلس عليه وجاء فى خطابه كما رواه المدائنى ، « يا أهل الكوفة أترونى قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون ، ولكنى قاتلتكم لأتأمر عليكم وألى رقابكم ، وقد آتانى الله ذلك وأنتم كارهون ، ألا إن كل دم أصيب فى هذه الفتنة مطلول ، وكل شرط شرطته فتحت قدمىّ هاتين ، ولا يصلح الناس إلا ثلاث ، إخراج العطاء عند محله ، وإقفال الجنود لوقتها ، وغزو العدو فى داره فإن لم تغزوهم غزوكم » .

وروى أبو الفرج الأصفهانى عن حبيب بن أبى ثابت مسنداً أنه ذكر فى هذه الخطبة علياً فنال منه ثم نال من الحسن .

ثم طلب معاوية من الإمام الحسن أن يعتلى منصة الخطابة ليبين للناس تنازله عن الأمر ، فانبرى الإمام إلى أعواد المنبر والناس كلهم أذن صاغية وهم ما بين راغب وراغم ، فخطبهم خطبة طويلة كانت فى منتهى الروعة والبلاغة ، وعظ فيها الناس ودعاهم إلى الألفة والمحبة وصور فيها الأحداث الرهيبة التى جرت على أهل البيت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعزا ما جرى عليهم من المحن والخطوب إلى الصدر الأول الذين تزعموا الخلافة منهم وقد جاء فى خطابه : « أما بعد فوالله إنى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله لخلقه ، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له سوءًا ولا غائلة ، ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبون فى الفرقة ، ألا وإنى ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمرى ولا تردوا علىّ رأيى ، غفر الله لى ولكم وأرشدنى وإياكم لما فيه المحبة والرضا . وقال : قد علمتم أن الله هداكم بجدى محمد صلى الله عليه وسلم ، فأنقذكم به من الضلالة ، ورفعكم به من الجهالة وأعزكم به بعد الذلة ، وكثركم به بعد القلة ، إن معاوية نازعنى حقًا هو لى دونه فنظرت لصلاح الأمة وقطع الفتنة ، وقد كنتم بايعتمونى على أن تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بينى وبينه ، وقد بايعته ، وقد رأيت أن حقن الدماء خير من سفكها ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين » .

وأخذ الإمام الحسن يبين ظلامة أهل البيت فقال :

« إن معاوية زعم لكم أنى رأيته للخلافة أهلا ولم أر نفسى لها أهلا ، نحن أولى الناس بالناس فى كتاب الله عز وجل وعلى لسان نبيه ، ولم نزل – أهل البيت – مظلومين منذ قبض الله نبيه فالله بيننا وبين من ظلمنا » . ثم قال :

« فوالذى بعث محمداً بالحق لا ينقص من حقنا أهل البيت أحد إلا نقصه الله من عمله ، ولا تكون علينا دولة إلا وتكون لنا العافية ، ولتعلمن نبأه بعد حين » .

والتفت عليه السلام إلى معاوية فرد عليه سبه لأبيه فقال له : « أنا الحسن وأبى علىّ ، وأنت معاوية وأبوك صخر وأمى فاطمة وأمك هند وجدى رسول الله ، وجدك عتبة بن ربيعة ، وجدتى خديجة وجدتك قتيلة : فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً وشرنا قديماً وحديثاً وأقدمنا كفراً ونفاقاً » .

بين الإمام الحسن ورجال معاوية :

فى شرح النهج لابن أبى الحديد يقول أهل السير .

لما سلم الحسن الأمر إلى معاوية اجتمع إلى معاوية رهط من شيعته وهم عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبى معيط وعتبة بن أبى سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، وقد كان أبلغهم عن الحسن بن على قوارض وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقالوا لمعاوية : إن الحسن قد أحيا أباه وذكره ، قال فصدق وأمر فأطيع وخففت له النعال ، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه ولا يزال يبلغنا عنه ما يسىء إلينا ، فابعث إليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ونعيره ونوبخه

ونخيره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك .

قال معاوية : إنى لا أرى ذلك ولا أفعله .

فعزموا عليه ، فقال : لا تفعلوا فوالله ما رأيته قط جالساً عندى إلا خفت مقامه وعيبه لى .

وقال : إنه ألسن بنى هاشم .

قالوا : ابعث إليه على كل حال .

قال : إن بعثت إليه لأنصفنه منكم .

فقال عمرو بن العاص : أتخشى أن يأتى باطله على حقنا .

قال معاوية : أما أنى لو بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ولا يلصق بهم العار ، ولكن اقذفوه بحجره ، تقولون له إن أباك قتل عثمان وكره خلافة الخلفاء قبله .

جاء إلى الإمام الحسن الرسول ، فقال : يا جارية إيتينى ثيابى ، اللهم إنى أعوذ بك من شرورهم وأدرأ بك فى نحورهم وأستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت وأنى شئت بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين .

ثم قام ، فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه ، وقد ارتاد القوم وخطروا خطران الفحول بغياً فى أنفسهم وعلوًا .

ثم قال معاوية : يا أبا محمد إن هؤلاء بعثوا إليك وعصونى .

فقال الحسن : سبحان الله الدار دارك والإذن فيها إليك إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما فى أنفسهم إنى لأستحى لك من الفحش . وإن كانوا

غلبوك على رأيك إنى لأستحى لك من الضعف ، أما إنى لو علمت بمكانهم جئت بمثلهم من بنى عبد المطلب ومالى أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

معاوية : إنى كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك ، وإن لك منهم النصف ومنى ، وإنما دعوناك لنقررك أن عثمان قتل مظلوماً وأن أباك قتله ، فأجبهم ولاتمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك .

عمرو بن العاص : ذكر الإمام علىّ فلم يدع شيئاً يعيبه به إلا قاله ، وقال إنه شتم أبا بكر وكره خلافته وبايعه مكرهاً (١) وشرك فى دم عمر وقتل عثمان

---

(١) يقول الأستاذ حسن كامل الملطاوى فى كتابه (الإمام الحسن) : إن الإمام علياً لم يكرهه أحد على بيعة أبى بكر كما ادعى عمرو بن العاص وكان تأخره عن بيعته بعض الوقت فى أرجح الأوقات لسببين :

ا – أنه لم يشترك فى اجتماع السقيفة وكان مشغولا بتجهيز مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم – وكان يرجو أن يدعى للاجتماع باعتباره من السابقين الأولين .

ب – أن السيدة الزهراء زوجته كانت تطالب سيدنا أبا بكر رضى الله عنه بميراثها من أبيها فى أرض فدك ولم يجبها وأخبرها أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة] ، وقد بينا ذلك تفصيلا فى الفصل الثانى .

على أن الخليفة الأول استمر يرضيها ويعدد بترك الخلافة إن لم تكن الزهراء عنه راضية ، ومما قاله فى استرضائها : [ياحبيبة رسول الله – والله إن قرابة رسول الله أحب إلى من قرابتى وإنك لأحب إلى من عائشة ابنتى] .

فالإمام على فى تأخره عن البيعة كان يطيب خاطر زوجته حتى إذا رضيت بايع ، وقد قال تعالى فى نية رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبة : [لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك] ، وفى ذلك ثناء على نية علمها الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغى تطييب خواطرهن ، ثم عاتب –

= تعالى زوجتى الرسول فقال : [إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه .] ويضاف إلى ذلك أن الإمام وإن تأخر فى البيعة فإنه لم يخرج على الخليفة الأول ولم يحاربه كما فعل معاوية وغيره حين خرجوا على الإمام على وحاربوه دون وجه حق .

حـ - أما أن سيدنا عليا شارك فى ذم عمر فلم يقل أحد ذلك وكيف - وهو يخاف الله خوف السابقين بقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وسيدنا عمر صهره وحبيبه وقد حرص على مصاهرة الإمام على ليكون له نسب بالرسول عليه الصلاة والسلام حيث وقف على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم [كل نسب ينقطع يوم القيامة إلا نسبى] وكان سيدنا عمر يقول : لا أبقانى الله فى بلد لست بها يا أبا الحسن . فهل كان يشك فى عداوته ويقول ذلك أو يصاهره .

د - أن سيدنا عمر حين استخلف أشار بواحد من الستة الذين انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وكان فى المقدمة الإمام على ومنزلته من الرسول صلى الله عليه وسلم معروفة وقد بينت فى الفصل السابق أنه كان أحب شخصية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

هـ - أن سيدنا عمر قال لبعض جلسائه مشيراً إلى فضل الإمام على : [لو ولوها الأجلح لحملهم على الجادة ، فقالوا ما يمنعك أن تستخلفه قال لا أحملها حيًا وميتاً فليختاروا لأنفسهم] .

و - أما دم عثمان فإن الإمام عليا وابنيه الإمامين الحسن والحسين دفعوا عنه بما لم يدفع عنه متهموه ، وكان عمرو بن العاص أول الناصحين لعثمان باعتزال الخلافة ، وكان يقاطع عثمان وهو يخطب ليسترضى الثائرين ، وكان يقول إنى لألقى الراعى فأحرضه على عثمان ، وكانت شماتته ظاهرة حين قتل ، وأما معاوية فلم يدفع عنه بشىء كما أنه لم يقتص من قتلته كما كان يطلب من أمير المؤمنين على ، وقد روى أن معاوية زار المدينة فسمع ابنة عثمان تقول على مسمع منه [وا أبتاه] ، فقال لها متهرباً من القصاص وهو فى سلطانه :

[يا ابنة أخى إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره ، فإذا نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ، ولأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين] .

وهذا الذى علمته من قول معاوية يريك بدليل واضح أن دم عثمان كان تكأة يخدعون بها الجهال - =

وادعى من الخلافة ما ليس له ، ثم ذكر الفتنة يعيره بها .

ثم قال : إنكم يا بنى عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء واستحلالكم ما حرم الله من الدماء وحرصكم على الملك وإتيانكم ما لا يحل ثم إنك يا حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك ، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه ، وإنما دعوناك لنسبك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرد الله به وكفانا أمره ، وأما أنت فلو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ولا عيب من الناس .

الوليد بن عقبة : يا بنى هاشم ، كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم فكنتم أول من حسده فقتله أبوك ظلماً فكيف ترون الله طلب بدمه ، والله إن بنى أمية خير لبنى هاشم من

= ويحرضون بها أهل الشام الذين انقادوا انقياد الأعمى لقائده بدافع من المال الذى أغدقه عليهم معاوية بلا حساب .

وإذا كان معاوية قد نجح فى استمالة أنصار أهل البيت بماله فاستمالة أهل الشام كانت عليه أهون وأرخص . أو ليس هو الذى قال لأستميلن بالدنيا نقات على ، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياى آخرته .

وقد غلبت على الناس الدنيا وصدق أمير المؤمنين على حين قال لأتباعه : [والله ما معاوية بأدهى منى ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس] .

وحين قال لهم : ولكنه لا رأى لمن لا يطاع .

وحين قال لهم : لم تكن بيعتكم إياى فلتة ، وليس أمرى وأمركم واحداً إنى أريدكم لله وأنتم تريدوننى لأنفسكم .

وصدق الإمام الحسن رضى الله عنه حين قال : [الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه مادرت به معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون] .

بنى هاشم لبنى أمية .

عتبة بن أبى سفيان : يا حسن ، كان أبوك شر قريش لقريش ، أسفكه لدمائها وأقطعه لأرحامها طويل السيف واللسان يقتل الحىّ ويعيب الميت ، وأما رجاؤك الخلافة فلست فى زندها قادحاً ولا فى ميزانها راجحاً ، وإنكم يا بنى هاشم قتلتم عثمان وإن فى الحق أن نقتلك وأخاك به ، فأما أبوك فقد كفانا الله أمره .

المغيرة بن شعبة : تكلم فشتم علياً ، وقال والله ما أعيبه فى قضية يخون ولا فى حكم يميل ولكنه قتل عثمان .

رد الإمام الحسن :

تكلم ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

أما بعد ، يا معاوية فما هؤلاء شتمونى ولكنك شتمتنى فحشاً ألفته ، وسوء رأى عرفت به ، وخلقاً سيئاً ثبت عليه ، وبغياً علينا عداوة منك لمحمد وأهله ، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم ، أنشدكم الله أيها الرهط هل تعلمون أن الذى شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة وتعبد اللات والعزى غواية ، وبايع البيعتين بيعة الفتح وبيعة الرضوان ، وأنت بإحداهما كافر وبالأخرى ناكث ، وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم

تسرون الكفر وتظهرون الإسلام وتستميلون بالأموال ، وأنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعك ومع أبيك راية الشرك ، وفى كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته وينصر دعوته ويصدق حديثه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك المواطن كلها عنه راض وعليك وعلى أبيك ساخط ، وبات يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل الله فيه ، (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) ، وأنزل فيه (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى وأنت أخى فى الدنيا والآخرة » .

وجاء أبوك على جمل أحمر يوم الأحزاب يحرض الناس ، وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعن الراكب والقائد والسائق ، أتنسى يا معاوية الشعر الذى كتبته إلى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن الإسلام :

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا ... بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
خالى وعمى وعم الأم نالتهم ... وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لأتركن إلى أمـــر تقـــلدنا ... والراقصات بنعمان به الخرقا
فالموت أهون من قول العـــداة لقد ... حاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت وأنشدكم الله أتعلمون أن علياً حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل فيه : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ، وأنت يا معاوية دعا عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب كتاباً إلى بنى خزيمة ، فبعث إليك فنهمك إلى يوم القيامة فقال : اللهم لا تشبعه ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أكابر أصحابه إلى بنى قريظة ، فنزلوا من حصنهم فهزموا ، فبعث علياً بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله وفعل فى خيبر مثلها ، وأنتم أيها الرهط نشدتكم الله ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا سفيان فى سبعة مواطن لا تستطيعون ردها :

أولها : يوم لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الدين فوقع به وسبه وسفهه وشتمه وكذبه وتوعده وهم أن يبطش به .

والثانية : يوم العير إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى جائية من الشام فطردها أبو سفيان وساحل بها ولم يظفر المسلمون بها ، ولعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عليه فكانت وقعة بدر لأجلها .

والثالثة : يوم أحد حيث وقف تحت الجبل ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعلاه وهو ينادى اعل هبل مراراً فلعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات ولعنه المسلمون .

والرابعة : يوم جاء الأحزاب وغطفان واليهود فلعنه رسول الله وابتهل .

والخامسة : يوم الحديبية ، يوم جاء أبو سفيان فى قريش فصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام (والهدى معكوفاً أن يبلغ محله) ولعن القادة والأتباع ، فقيل يا رسول الله أفما يرجى الإسلام لأحد منهم ، فقال : لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع يسلم ، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد .

والسادسة : يوم الجمل الأحمر .

والسابعة : يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثنى عشر رجلا منهم أبو سفيان .

هذا لك يا معاوية .

وأما أنت يا ابن النابغة فادعاك خمسة من قريش غلب عليك ألأمهم حسباً وأخبثهم منصباً وولدت على فراش مشترك ثم قام أبوك فقال أنا شانئ محمد الأبتر فأنزل الله فيه (إن شانئك هو الأبتر) ، وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع المشاهد وهجوته وآذيته بمكة وكدته وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة ، ثم خرجت تريد النجاشى لتأتى بجعفر وأصحابه ، فلما أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً وأكذبك واشياً جعلت جدك على صاحبك عمارة بن الوليد ، فوشيت به إلى النجاشى ففضحك الله وفضح صاحبك ، فأنت عدو بنى هاشم فى الجاهلية والإسلام ، وهجوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتاً من الشعر فقال اللهم إنى لا أقول الشعر ولا ينبغى لى ، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة فعليك إذاً من الله

ما لا يحصى من اللعن ، وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا ناراً ، ثم لحقت بفلسطين فلما أتاك قتله قلت : « أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها » ثم حبست نفسك إلى معاوية وبعت دينك بدنياه فلسنا نلومك على بغض ولا نعاتبك على ود ، وبالله ما نصرت عثمان حيًّا ولا غضبت له مقتولا ، ويحك يا ابن العاص ألست القائل لما خرجت إلى النجاشي :

تقول ابنتي أين هذا الرحيل ... وما السير مني بمستنكر
فقلت ذريني فإني امرؤ ... أريد النجاشي في جعفر
لأكويه عنده كية ... أقيم بها نخوة الأصعر
وشاني وأحمد من بينهم ... وأقولهم فيه بالمنكر
وأجري إلى عيبه جاهداً ... ولو كان كالذهب الأحمر
ولا أثنني عن بني هاشم ... بما استطعت في الغيب والمحضر
فإن قبل العيب مني له ... وإلا لويت له مشفري

وأما أنت يا وليد فوالله ما ألومك على بغض عليّ وقد قتل أباك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً ، وجلدك ثمانين في الخمر لما صليت بالمسلمين الفجر سكران .

وفيك يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم ... أأزيدكم سكراً وما يدرى

obeikandl.com

ليزيدهم أخرى ولو قبلوا لأتت صلاتهم على العشر
فأبوا أبا وهب ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجرى

وسماك الله فى كتابه فاسقاً وسمى أمير المؤمنين مؤمناً حيث تفاخرتما فقلت له اسكت يا علىّ فأنا أشجع منك جناناً وأطول منك لساناً ، فقال لك على اسكت يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق ، فأنزل الله تعالى فى موافقته قوله : (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) ثم أنزل فيك على موافقته قوله : (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ومهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه :

أنزل الله والكتاب عزيز فى على وفى الوليد قرانا
فتبوّا الوليد إذ ذاك فسقاً وعلىّ مبوأ إيمانا
ليس من كان مؤمناً عمرك الله كمن كان فاسقاً خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل وعلىّ إلى الحساب عيانا
فعلى يجزى بذاك جناناً ووليد يجزى بذاك هوانا
رب جد لعقبة بن إبان لابس فى بلادنا ثيابا

وما أنت وقريش إنما أنت علج من أهل صفورية ، وأقسم بالله لأنت أكبر فى الميلاد وأسن مما تدعى إليه .

وأما أنت يا عتبة فو الله ما أنت بحصيف فأجيبك ، ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك ، وما عندك خير يرجى ، ولا شر يتقى ، وما عقلك وعقل أمتك

إلا سواء ، وما يضر عليًّا لو سببته على رءوس الأشهاد ، وأما وعيدك إياى بالقتل فهلا قتلت اللحيانى إذ وجدته على فراشك ، فقال فيك نصر بن حجاج :

يا للرجال وحادث الأزمان ولسبة تخزى أبا سفيان

نبئت عتبة خانه فى عرسه جبس لئيم الأصل فى لحيان

وكيف ألومك على بغض علىّ وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر وشرك حمزة فى قتل جدك عتبة وأوجدك من أخيك حنظلة فى مقام واحد .

وأما أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق أن تقع فى هذا وشبهه وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكى فإنى طائرة عنك ، فقالت النخلة هل علمت بك واقعة على فأعلم بك طائرة عنى ، والله ما نشعر بعداوتك إيانا ولا اغتممنا إذ علمنا بها ، ولا يشق علينا كلامك ، وإن حد الله عليك فى الزنا لثابت ، ولقد درأ عمر عنك حقًّا الله سائله عنه ، ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها ؟ فقال لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا لعلمه بأنك زان .

وأما فخركم علينا بالإمارة فإن الله تعالى يقول : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) .

ثم قام الحسن فنفض ثوبه وانصرف ، فتعلق عمرو بثوبه وقال يا أمير المؤمنين قد شهدت قوله فى قذف أمى بالزنا ، وأنا مطالب له بحد القذف ، فقال معاوية خل عنه لا جزاك الله خيرًا ، فتركه وانصرف الحسن وتركهم يحسون كمدا ، فقال معاوية : قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته ونهيتكم أن

تسبوه فعصيتمونى ، والله ما قام حتى أظلم على البيت ، قوموا عنى فلقد فضحكم الله وأخزاكم بتركككم الحزم وعدولكم عن رأى الناصح المشفق وقال :

أمرتكم أمراً فلم تسمعوا له ... وقلت لكم لا تبعثن إلى الحسن
فجاء ورب الرافضات عشية ... بركبانها يهوين عن سرة اليمن
أخاف عليكم منه طول لسانه ... وبعد مداه حين إجراره الرسن
فلما أبيتم كنت فيكم كبعضكم ... وكان خطابى فيه غبنا من الغبن
فحسبكم ما قال مما علمتم ... وحسبى بما ألقاه فى القبر والكفن

openkandl.com